باتريك رسول ايرلندا

قيل عن باتريك أنه كان شعلة وهاجه تحمل نار الحب، ضرنما ما في قوته وبأسه، حمامة في رقعة ووداعته، عبدا نافعا في خدمة المسيح.

نشأته

ولد باتريك عام ٣٠٩ م في بريطانيا التابعة للأمبراطورية الرومانية، من أسرة مسيحية. وكان والده كالبرنيوس فلاجا ومن زعماء بلدته في وادي نهر سيفرن.

إذ هاجمت بعض القبائل البربرية علي الدولة الرومانية، وصارت روما في خطر سحبت روما قواتها من بريطانيا لحماية العاصمة.

عبد في ايرلندا

إذ كان باتريك غلاما في السادسة عشر من عمره، لاحظ بعض القراضة الأيرلنديين المتوحشين قد أرسلوا سفنهم بجوار داره علي نهر سيفرن، أنطلق القراضنة للنهب والسلب وخطف الناس. فاضطربت البلدة وحاول باتريك الهروب خشية الوقوع في يد القراضنه لكن سرعان ما القوا القبض عليه هو ومن معه، وحملوهم أسري إلي السفن ثم أبجروا إلي جزيرة ايرلندا. كانت الجزيرة في عيني هذا الغلام ومن معه كأنها في أقصي المسكونة. بيع باتريك عبدا لزعيم وثني، عهد إليه برعاية الخنازير. لم يحطم هذا الحدث نفسية هذا الشاب الذي فقد وطنه وأسرته وحديته كرامته،

لكنه صار يقضي الساعات الطويلة في الصلاة وسط الغابات وعلي الجبال في ساعات الفجر وسط الصقيع والمطر. عوض التذمر كان شاكرا لله، متسعا في قلبه وفكره. تعلم اللغة الإيرلنديه وأحب الشعب الإيرلندي، خاصة الأطفال. وتدرب علي حياة الصبر مع الشكر، وكان شعاره الذي يردده علي الدوام " شكرا لله ".

هروب إلي وطنه

بعد ستة سنوات التهب قلبه شوقا نحو وطنه والالتقاء بأهله. وفي إحدى الاسيات هرب من سيده وراح لصعيد التلال ويهبط الوديان حتى بلغ الشاطىء بعد أن سار حوالي مائتي ميلا. نزل في سفينة تحمل كلاب جيد ايرلندية تطارد الذئاب، وبعد مغامرات ومخاطر كثيرة بلغ بيت أبيه في جزر بريطانيا.

التقت به الأسرة وكأنه قد قام من الأموات صار يردي لهم مغامراته في رحلته الطويلة، وهو لم يصدق عينيه أنه قد رأي أسرته.

سرعان ما شعر بحنين نحو خدمة الإيرلنديين، إذ كانت أصواتهم تدوي في أذنيه بلا انقطاع، وكأنهم تدعوه أن ينطلق إليهم ليخرجهم من ظلمة الوثنية إلي نور معرفة المسيح.

دعوة للعمل

وسط صراعه بين الحنين نحو وطنه وتمسك بأسرته وشوقه نحو الخدمة رأي حلما فيه سمع صيحة الإيرلندين : " نتوسل إليك أيها الشاب الصالح أن تعود إلينا و تعيش معنا كما كنت " كما شاهد رؤيا أخري سمع فيها صوتا يقول له : " إن الذي بذل حياته من أجلك هو الذي يكلمك

الإعداد للعمل

لم يكن ممكنا لهذا الشاب التقي أن يخمد صوت الإيمان الذي صرخ في داخله. انطلق إلي بلاد الغال (فرنسا) وكانت أكثر رقيا من الجزر البريطانية في ذلك الحين، وأنهمك في الدراسة لكي يستعد للخدمة.

لاحظ جرمانوس أسقف بلاد الغال غيرته الشديدة وحب الفائقة للخدمة، ويبدو أنه قام بنفسه بياقة أسقفا. وفي عام ٤٣٢ م عاد باتريك بارادته إلي أرض سبله ومنفاه ليس كعبد يرعى الخنازير بل كرسول وسفير للسيد المسيح.

كان المسيحيون في إيرلندا قلة قليلة جدا، غير أن الزعماء وأكثرية الشعب يدينون بالوثنية.

انطلق إلي الجزيرة يتسلق جبالها ويخوص أنهار ويعبر مستنقعاتها ويتحل بر الشتاء اللامخ وحرارة القيض صيفا. كان يجول يكسب حبا علي من يلتق به كان يبحث عن الضالين ويشهد لمخلصه فتعرض لمتاعب كثيرة، بل وتعرض للموت أثني عشرة مرة دون أن ينصرف عن رسالته.

جاء إلي إيرلندا التي كانت تكاد أن تكون وثنيه وبعد نياحتة قيل عنها "جزيرة القديسين".

كسب كثير من الزعماء فكان يدربهم علي روح القيادة الصادقة. وعوض العبادة للشمس والجبل والنهر أقيمت كنائس خشبية لعبادة الله الحي. وأجتذب كثيرين للحياة الرهبانية في اقليم كنوت، الأقليم الذي عاش فيه عبدا لمدة ست سنوات.

تحولت أديرتهم إلي مدارس، بل كانت المدارس الوحيدة في ذلك الحين بإيرلناد. تخصص بعض الرهبان في بعض العلوم مع الأهتمام بالنساخة.

في قصر الملك العظيم

كما سبق فصاح القديس بولس بنعمة النصرة قائلاً: "وهكذا أتينا إلي روما" عاصمة الأمبراطورية، هكذا صاح باتريك وهو يقترب من قصر الملك في تارا.

سمع الملك عن باتريك ورهبانه فأمر أتباعه أن يكنوا في الطريق لقتلهم. عرف بأتريك بالأمر فلم يتراجع بل قال في نفسه " إن كان المسيح معي فممن أخاف".

قيل أنهم إذ ساروا في الطريق أمام الكمين تخيل أتباع الملك أنهم قطيع من الوعول البرية يسير تحت ستر الضباب. أما باتريك فكان يتغنى قائلا : " المسيح معي، المسيح أمامي، المسيح خلفي. المسيح في المسيح تحتي، المسيح فوقي. المسيح عن يمني، المسيح عن يساري. المسيح في قلب كل إنسان يفكر في. المسيح علي لسان كل بشر يذكر أسمي. المسيح في كل عين برائي. المسيح في كل أذن تسمعني. أنطلق إلي القصر ملتحفا بشخص السيد المسيح فوهبه الله أن يحصل علي إذن رسمي من الملك بالكرازة بالأنجيل، وإن كان الملك نفسه لم يؤمن.